لمحة على فترة ماقبل التاريخ
بولاية تيارت (الغرب الجزائري)
المفاهيم الحالية والمنظور المستقبلي

لمحة على فترة ماقبل التاريخ بولاية تيارت
(الغرب الجزائري)
المفاهيم الحالية والمنظور المستقبلي.

د. قلماوي عمر(*)

معهد الآثار

ينحصر بحثنا هذا في بعض الملاحظات التي تحصلنا عليها من خلال المعطيات والمفاهيم عن فترة ما قبل التاريخ لولاية تيارت. وعلى هذا الأساس يكون التركيز على مختلف الدوائر وضواحيها طبقا للمعطيات التي قد تفسر لنا بعض المشاكل الخاصة على مستوى هذه الولاية.

و أملنا كذلك يكمن في توفير إطار عام نموذجي بتقديم رؤية جديدة منهجية علمية وبالتالي حصرها ضمن التسلسل الكرونولوجي للزمن الرابع الجزائري.

1)- تاريخ الأبحاث:

صنفت ولاية تيارت ضمن الورقة رقم 23 ذات المقياس 1/200.000 التي تحتوي على 9 خرائط مفصلة بمقياس 1/50.000. فهي عبارة عن مساحة شاسعة متنوعة التضاريس لكونها تفصل بين التل والهضاب العليا الإستبسية.

(*) رئيس الفرقة.

رقم 214	رقم 215	رقم 216
جيلالي بن عمر	مشرع الصفا	تيارت
رقم 245	رقم 246	رقم 247
عين الخدرة (فرندا)	ملاكو	النادور
رقم 276	رقم 277	رقم 278
عين الحديد (فرندا)	فرندا	جبل النادور

أما الجانب الجيولوجي فلم يدرس إلا في السنوات الأخيرة بحيث أن الأبحاث القديمة كانت من قبل الأستاذ ج. والش (Welsh). في سنة 1890 والذي قام بدراسة الأراضي لضواحي تيارت وفرندا خلال الحقبة الجيولوجية الثانية.

ثم تتلوها دراسة أخرى من طرف م. كيياكن (M. Kiéken) و ج. ماني سنة 1956 عن جيولوجية سهول منطقة مينة بالتل الوهراني.

فيما يتعلق بمرحلة ماقبل التاريخ، كانت هي الأخرى مجهولة إلى حد كبير.

فالمعلومات القليلة كانت بحوزة الباحثين بالاري (Pallary) (1891-93) والرقيب فور (Fort) (1908) والمتمثلة في وجود بعض القطع من المادة الصوانية بمنطقة تيارت.

ثم توالت الإستكشافات بعين المكان، وتمكن الباحث د. إيستوني (D. Estonié) (1916-17) تحديد بعض المواقع الصغيرة التي لم يشر إليها إلا في عام 1941.

2 - مكانة المنطقة الأثرية خلال فترة ما قبل التاريخ.

يمثل ميدان البحث في فترة ماقبل التاريخ بولاية تيارت بعض المميزات الرئيسية التي يجب التطرق إليها لمعرفة عمق المشاكل المطروحة بهذه المنطقة الأثرية.

فطبيعة مواقعها الأثرية وصعوبة عبورها وتسلقها كانت من بين العلامات التي لم تسمح بقيام أبحاث منهجية ذات الإستعمال الواسع وكذا الطرق العلمية الحديثة. وترتب عن كل هذه المعطيات بعض الصفات منها:

- وجود بقايا أثرية مختلطة لمختلف المراحل الكرونولوجية (أوجه ثقافية) في العديد من المواقع التي تم العثور عليها من قبل، مما جعل صعوبة تعريف وتمييز الخاصيات الرئيسية لمختلف الثقافات.

- لا يمكن إجراء أي تصنيف أو تنظيم كرونولوجي يقوم على دراسة القطع التي تفتقر إلى المحتوى الأثري.

- نماذج من بقايا أثرية أخرى تم إكتشافها من المناطق الجبلية بما فيها الكهوف والمغارات أوالملاجئ الصخرية.

- عمليات الاسبار التي أجريت بالمنطقة في العديد من المواقع لن توفر تسلسل طبقي منظم حتى يسمح بقراءة كرونولوجية واضحة.

- قام التصنيف الطبقي لمختلف المجموعات الصناعية التي تم العثور عليها عن طريق إعتبار ظاهرة الجمع والإختيار الشخصي والعمق الذي يفضله الباحث.

3)- دراسة المجموعات الصناعية:

لقد تبين من خلال بعض الأبحاث أن إنسان ماقبل التاريخ بولاية تيارت عرف إستغلال مواد أولية مختلفة ومتنوعة لصناعة مجموعاته الحجرية، العظمية، الخشبية أوالطينية، وبالتالي، يقوم تطور نشاط الصانع على بعض العينات الكرونولوجية لتفهم التسلسل الكرونولوجي خلال الفترات القديمة، من بينها:

- التقصيب على الحصى وصنع الأدوات على النواة (العصر الحجري القديم الأسفل).

- تطور التقصيب على الشظايا والتقنية اللوفلوازية (العصر الحجري القديم الأوسط).

- تطور الصناعة القزمية والفخارية (العصر الحجري الحديث).

وبصفة عامة يمكن القول أن معظم الدراسات التي أجريت من قبل على ولاية تيارت أو غيرها من المناطق كانت محصورة في وضع قوائم نمطية خالية من التحاليل العلمية المنهجية والتي بمثابتها ترسم البيانات القائمة على العدد النسبي فقط لمختلف أنواع الأدوات التي تم جمعها من المواقع.

4)- العناصر الكبرى، التسلسل الكرونولوجي:

أثبتت الدراسات الأنتروبولوجية عن ظهور إنسان هذه المنطقة منذ القدم، فقد ترك عدة بقايا خلال العصور الحجرية التي مر بها.

* مرحلة ماقبل الأشولي:

بصفة عامة، لم يعثر بمنطقة تيارت على مجموعات صناعية تنتمي إلى الوجه الثقافي لماقبل الأشولي، ويمكن من جهة أخرى الإشارة إلى أنه تم جمع بعض الأفواج النمطية من العناصر الكروية الشكل على حافة نهر واسل بالقرب من سيدي الحسني.

* المرحلة الأشولية:

تتواجد المحطات الأشولية في سفوح الجبال وبالقرب من الأودية. من بين المناطق الرئيسية تلك التي تقع على طول نهر واسل (وادي مرجيجة) وكودية بوقرارة.

* المرحلة العاترية:

تعتبر المواقع العاترية من بين الثقافات التي توجد بنسبة كبيرة، وفي بعض الأحيان غنية بمحتواها الأثري خاصة منطقة كودية بوقرارة وقرتوفة.

* المرحلة الإيبيرية المغربية:

تعرف هذه الثقافة بكلومناطة (بالقرب من سيدي الحسني)، بعين خدة بالقرب من قرتوفة، دحموني وبعض الضواحي الأخرى..... ويبدو أن هذه الصناعة تظهر في بعض الأماكن بشكل متطور مما جعل وجود نوع من الإختلاف الطفيف في كل من كاف الكرام بالقرب من النادور، بعين خدة بالقرب من قرتوفة، وعلى الطريق المؤدي إلى قرتوفة.

* المرحلة القفصية:

ينعدم الوجه الثقافي القفصي بمنطقة تيارت

* المرحلة الحديثة:

فيما يخص العصر الحجري الحديث لايوجد بالمنطقة عدد كبير من محطات على السطح والأخرى بالملاجئ الصخرية (كولومانطة وعين خدة) التي قدمت صناعة حجرية وعظمية مصقولة، ثم

الفن الصخري (منطقة آفلو بناحية الريشة) والرسومات الجدارية (عين بن كريمة بالقرب من مشرع الصفا بوادي أزوانية، كاف بوبكر...).

وتجدر الإشارة أن الحجارة المصقولة وجدت بكمية قليلة (حوالي عشرين قطعة) تم جمعها على السطح من عدة محطات (قرتوفة، جبل قزول، وادي أزوانية، سيدي خالد...) ويأتي بعد هذا التأثيرات الصحراوية التي خلفت وجهاً ثقافياً محلياً ينتمي للعصر الحديث ذا التقليد القفصي مثل كرمة سيريرو (Serrero)، وكرمة بوباي (Boubay)، ولنختم هذا التسلسل الكرونولوجي، يجب أن نشير إلى الموقع المسمى (بالحجارة المقدسة) الواقع في سفح المنحدرات على الناحية اليسرى للطريق تيارت - قرتوفة.

5)- البقايا الإنسانية:

فيما يتعلق بالبقايا الإنسانية، فقد عثر عليها بنسبة كبيرة خاصة لتلك التي ترجع لما بعد العصر الحجري القديم بموقع عين خدة، محطة الزند (Cubitus) وعين شريطة والتي تنتمي لفصيلة الإنسان العاقل الملقب بإنسان مشي العربي.

6)- البقايا الحيوانية:

تم تنظيم قائمة لبعض البقايا الحيوانية من طرف (Doumergue F.) في عام 1937 بحيث سجل 20 نوعا من الثدييات، طائرين وحيوان زاحف.

أما الدراسة التي قامت بها الأستاذة (Y. Chaid-Saoudi) كانت عن بقايا أحصنة محلية متمثلة في نوعين جديدين (Caballine, Asinienne)

7)- مشروع البحث المستقبلي لحماية التراث الأثري الولائي:

يقوم محتوى بحثنا على المحاور الرئيسية التالية:

- الإستكشافات وإشكاليته.
- إجراء الحفائر المنهجية.
- تحليل المعطيات.
- المكانة الكرونولوجية لمختلف الأوجه الثقافية.
- الإطار الإثنولوجي.

أ)- **الإستكشاف:**

في إطار هذا البحث سنحاول إجراء عمل إستكشافي أولي للمحتوى الجغرافي لولاية تيارت كما تنحصر مهمتنا في الميدان على مدى توفر المواقع بالمنطقة وطبيعتها الحالية وضبط الأولويات لبعض المحطات التي تمكننا من تقييم المحتوى الأثري.

وعلى هذا الأساس يكون هدف الإشكالية المطروحة وضع طريقة منهجية لطوبوغرافية المنطقة، تصنيف نوعية المسكن في فترة ماقبل التاريخ أي فهم التوسع والتوزيع العمراني وعلاقتهما مع تحديد المميزات الرئيسية لمختلف الأوجه الثقافية الجهوية.

ب)- **الحفرية:**

عملية إجراء الحفائر ومختلف الطرق التي سوف تؤخذ بعين الإعتبار تكمن في مردودية وإستراتيجية البحث الميداني.

ج)- **التحليل:**

يقوم تحليل المجموعات الصناعية بولاية تيارت بوضع بطاقة فنية تشمل على بعض العناصر الأساسية منها:

- الإطار الإداري للولاية.
- الإطار الجغرافي.
- طبيعة الموقع أوالمحطة.
- الإنتماء الثقافي.
- تحليل المجموعات الصناعية: مرفولوجيا وتكنولوجيا.
- دراسة المناخ القديم بما فيه:

أ)- البقايا الحيوانية.

ب)- الغطاء النباتي.

ج)- دراسة المستحثات الإنسانية.البيليوغرافيا.

د)- المكانة الكرونولوجية:

لاتتحقق نتائج البحث والدراسة لمعرفة المكانة الكرونولوجية لمختلف الأوجه الثقافية بالمنطقة إلا إذا إعتمدنا على إحصاء كل المواقع الأثرية، وضع خريطة تمثل توزيع مختلف المواقع لفترة ماقبل التاريخ، جعل قوائم تنميطية وتكنولوجية محلية للمجموعات الصناعية ثم تحديد وتعريف الوجه الثقافي الجهوي لمنطقة تيارت.

هـ)- الإطار الإثنولوجي:

يهدف الجانب الإثنولوجي إلى وضع الأوجه الثقافية للمنطقة ضمن إطارها العام لكرونولوجية الجزائر في فترة ماقبل التاريخ آخذين بعين الإعتبار الخصوصيات المحلية.

و)- المنظور المستقبلي:

من بين القواعد الأساسية التي تهمنا في هذه الولاية هو إنشاء هياكل التكوين مثل مدرسة للحفائر الأثرية، توعية الهواة المعنية لهذا العمل ومحاولة تفهيم لماذا وما مدى أهمية هذا البحث.

ولتحقيق هذا المطمح أوالمسعى ينبغي التفكير من الآن في إنشاء متحف ولائي يضم كل البقايا التي تم أو يتم الكشف عنها في المستقبل من خلال الحفائر المبرمجة أوغيرها من اللقى حتى تسمح بتنظيم زيارات إلى عين المكان وكذا تسيير حسن للأحياء المتحف بالمعروضات المختلقة.

المراجع

De Bayle des Harmens (R), - L'Histoire de Tiaret : Documents Historiques.

Des origines aux invasions arabes.

BRAHIMI (C), 1972 - Deux campagnes de fouilles à Columata (1986-1971).

Libyca, T. 20, PP. 49 - 101, 35 fig.

CADENAT (P.), 1948 - La station préhistorique de Columata, commune mixte de Tiaret, Bull. Soc. Géogr. Arché. Oran. t. 70, fasc. 224, PP. 3-65, 17p7.

CADENAT (P.), 1966- Atlas préhistorique de l'Algérie. F. N: 33p. Libyca, t. XIV, p.32.

CADENAT (P.), 1966 - Vues nouvelles sur les industries de Columata. Libyca, t. XIV, pp. 198-208,4fig.

CAMPS (C.), 1974 - Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara. Doin, Paris, 366p., 100fig, 30pl., 39tabl.

CHAID- SAOUDI (Y.),1990 - Etude systématyque du genre équs (Mamalia, Perissodactyla) de l'Epipaléolithique de Columata (algérie Occidentale).

Libyca, t. XXXII à XXXIV, pp. 175-205, 1984-85-86.

CHAMLA (M.C), 1970 - Les hommes épipaléolithiques de Columata, Mém.GRAPE, t.XV, 117p., 40fig., 14pl.,V tabl.

Kicken (M.) et Maghne (J.) 1956 Aperçu géologique sur les monts de la mira (Tell Oranais).

Roubet (F. E.), 1951 - Contribution à l'étude de la préhistorique de la région de Tiaret. Tell d'Oran, t. LXXIL, fasc. 229, pp. 5-33.

WELSH (I.), 1890. Les Terrains secondaires des environs de Tiaret et de Frenda, thése, Lille.